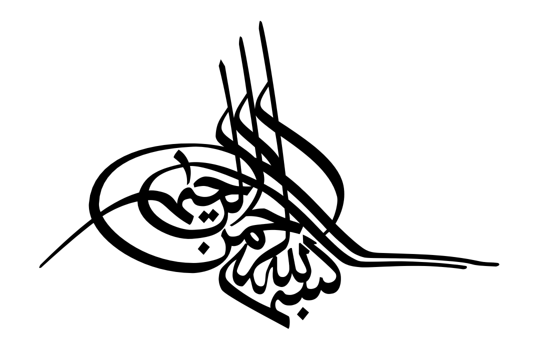
سيدي تحفة

قصة إسلام أكبر علماء النصارى

في القرن الثامن الهجري



رقم الإيداع

٢٠١١/٢٢١٢١



www.alamal-publications.com

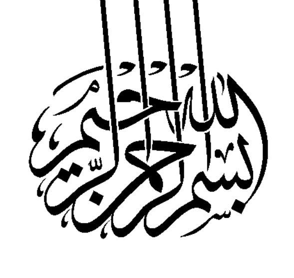
دار الأمل للنشر والتوزيع والترجمة

بجوار مسجد الإمام محمد بن عبد الوهاب - محطة ترام باكوس

الإسكندرية – مصر

daralamal@hotmail.com

٠١٠٠٠٢٨٢١٦٦ - ٠١١١١٨١٩٤٨٠



سِيدي تُحْفَة

قصة إسلام أكبر علماء النصارى

في القرن الثامن الهجري

اختصرها

محمد بن أحمد إسماعيل المقدم

ـ عفا الله عنه ـ



قصة إسلام

أبي محمد عبد الله بن عبد الله التَّرْجُمان الميورقي
(٧٥٦-٨٣٢ هـ) « القَس إنسلم تورميدا » سابقًا
أكبر علمـاء النصارى في القرن الثامن الهجري
ومؤلف كتاب : « تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب » (١)

في الوقـت الـذي كـان الـصليبيون يكرسـون جهودهم في نشر النصرانية المحرفة في ربوع الأنـدلس بعد نفي المـسلمين منهـا ، شرح الله صـدر رجـل مـن أكبر علمـائها للإسلام ، فأسلم وجهـه لله ، واسـتقام على طاعة الله ، وجاهد بيده ولـسانه وقلمـه في سـبيل الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ ، ذلكم هو الشيخ « أبو محمـد عبـد الله بـن عبد الله الترجـمـان الميورقي » ، الـذي كـان قسيـسًا

(١) وهذه القصة مختصرة بتصرف من مقدمـة الميـورقي لكتابـه « تحفـة الأريـب » ص(٥٣-٩١) بتحقيق الأستاذ عمر وفيق الداعوق .

يُدعى « إنسلم تـورميدا » ، والـذي اشتهر بالترجمان ؛ لأنـه لـمـا مضـى خـمـسة أشهـر عـلى إســلامه ، قدَّمه السلطان في الديوان لقيادة البحر ، وكان يقـصد مـن ذلك أن يتعلم اللغة العربية ؛ لتكرر عمل الترجمة هنـاك بين المسلمين والنصارى ، فأتقن اللغـة العربيـة في سنة واحدة ، وعَيَّنَه الأمير رئيسًا لشئون الترجمة .

ومن ألقابه عند العوام : « **سِيدي تحفة** » وذلـك نسبة إلى كتابه الشهير : « تحفة الأريب في الرد على أهـل الصليب » ذلك الكتاب الذي كان بمثابة ضربـة قويـة على بنيان النصرانية ، كتبه عالم من أكـبر علـماء النـصرانية في عصره بـاعتراف أهلهـا وشـهادتهم ، والـذي افتتحـه بـذكر قـصة إسـلامه التـي نختـصرها فيمــا يـلي ،

فَلْنُصْغِ إليه الآن وهو يحكي لنا بداية هدايته ، وكيف حَرَّرَ الله قلبه من رق الشرك والكفران ، وشرح صدره للإسلام ، فكان على نورٍ من ربه :

[اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن أصلي من مدينة « مَيُورْقَة » (١) ـ أعادها الله للإسلام ـ ، وهي مدينة كبيرة على البحر بين جبلين ، يشقها وادٍ صغير ، وهي مدينة متجر ، ولها مرساتان ـ اثنتان ـ عجيبتان ، ترسو بها السفن الكبيرة للمتاجر الجليلة ، والمدينة في جزيرة تسمى باسم المدينة « ميورقة » ، وأكثر غاباتها زيتون وتين ، ...

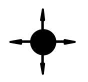
(١) مَيُورقة : جزيرة في البحر الأبيض المتوسط ، جنوب شرقي أسبانيا اليوم ، فتحها المسلمون سنة (٢٩٠هـ) ، إلى أن تغلب عليها العدو البرشلوني ، وخربها سنة (٥٠٨هـ) .

وكان والدي محسوبًا من أهل حاضرة « مَيورقة » ، ولم يكن له ولد غيري ، ولما بلغت ست سنين من عمري ؛ أسلمني إلى معلم من القسيسين ، قرأت عليه الإنجيل ، حتى حفِظتُ أكثر من شَطْره في مدة سنتين ، ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل ، وعلم المنطق ، في ست سنين .

ثم ارتحلت من بلدي « ميورقة » إلى مدينة « لاردة » من أرض « القسطلان » (١) ، وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر .

وبهذه المدينة تجتمع طلبة العلم من النصارى ، وينتهون إلى ألف رجل أو ألف وخمسمائة ،

(١) وهي تدعى اليوم : « كاستيلون » و« قسطلة » مدينة بالأندلس .



ولا يحكم فيهم إلَّا القسيس الذي يقرؤون عليه ، فقرأت فيها علم الطبيعيات ، والنجامة مدة ست سنين ، ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازمًا لذلك مدة أربع سنين ، ثم ارتحلت إلى مدينة « بلونية » من أرض « الأنبردية » ، وهي مدينة كبيرة جدًّا ، وهي مدينة علمٍ عند جميع أهل ذلك القطر ، ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيدُ مِن ألفي رجل يطلبون العلوم ، ولا يلبسون إلَّا المِلف [١] (الذي هو صباغ الله) [٢] ، ولو يكون طالب العلم منهم سلطانًا أو ابن سلطان فلا يلبس إلَّا ذلك ؛ ليمتاز الطلبة عن غيرهم ، ولا يحكم فيهم إلَّا القسيس الذي يقرؤون عليه .

(١) الملف : كمِقص ، لحاف يُلتحف به .

(٢) لعله ـ والله أعلم ـ زي مصبوغ بصباغ له قداسة عندهم .

فسكنت في كنسية لقسيس كبير السن عندهم ، كبير القدر اسمه : « نقلاو مرتيل » ، وكانت منزلته فيهم بالعلم والدين والزهد رفيعة جدًّا ، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية ، فكانت الأسئلة في دينهم تَرِدُ عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم ، وصَحِبَ الأسئلةَ من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه ، ويرغبون في التبرك به ، وفي قبوله لهداياهم ، ويتشرفون بذلك .

فقرأتُ على هذا القسيس علمَ أصول النصرانية وأحكامه ، ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه ؛ حتى صَيَّرني من أخص خواصه ، وانتهيتُ في خدمتي له وتقربي إليه إلى أن دفع إليَّ مفاتيح مسكنه ، وخزائن مأكله ومشربه ، وَصَيَّرَ جميع ذلك كله عَلَى

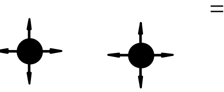
يدي ، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير يداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه ، الظاهر أنه بيت خزانة أمواله التي كانت تُهْدَى إليه ، والله أعلم .

فلازمتُه على ما ذكرتُ من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين ، ثم أصابه مرضٌ يومًا من الدهر ، فتخلَّف عن حضور مجلس أقرانه ، وانتظره أهل المجلس ، وهم يتذاكرون مسائلَ من العلوم ، إلى أن أفضى بهم الكلامُ إلى قول الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ على لسان نبيه عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ في الإنجيل : (إنه يأتي مِن بعده نبي اسمه « البارَقليط » [1]) ،

(١) وردت هذه الكلمة في الأناجيل مرة بلفظ : (المعزي) ومرة بلفظ أخر هو : (بارقليط) ، و(بارقليط) تعريب لكلمة (بيريكلتوس) ، وقد حصل نقاش بين الأستاذ « عبد الوهاب النجار » ود. « كارلو نلينو » حول هذه الكلمة ، فقال : « ... ثم قلت له ـ وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ـ : « ما معنى (بيريكلتوس) ؟ » فأجابني بقوله : =

فبحثوا في تعيين هذا النبي مَن هو مِن الأنبياء ؟ ، وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه ، فعظم بينهم في ذلك مقالُهم ، وكثر جدالهم ، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة في تلك المسألة ، فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور ، فقال لي : « ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم ؟ » ، فأخبرته باختلاف القوم في اسم « البارقليط » ، وأن فلانًا قد أجاب بكذا ، وأجاب فلان بكذا ، وسردتُ له أجوبتَهم ، فقال لي :

= « إن القسس يقولون: إن هذه الكلمة معناها : (المعزى) » ، فقلت : « إني أسأل الدكتور (كارلو نلينو) الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ، ولست أسأل قسيسًا » ، فقال : إن معناها : (الذي له حمد كثير) ، فقلت : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ فقال : نعم ، فقلت : إن رسول الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من أسمائه « أحمد » ، فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيرًا ... » انظر : « قصص الأنبياء » عبد الوهاب النجار ، ص(٣٩٧ ، ٣٩٨) .



« وبماذا أجبتَ أنت ؟ » ، فقلت : « بجواب القاضي فلان في تفسيره الإنجيل » ، فقال لي : « ما قَصَّرْتَ ، وقَرُبْتَ ، وفلان أخطأ ، وكاد فلان أن يقارب ، ولكن الحق خلافُ هذا كله ؛ لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلَّا العلماء الراسخون في العلم ، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلَّا القليل » ، فبادرتُ إلى قدميه أقبلهما ، وقلت له : « يا سيدي ! قد علمتَ أني ارتحلتُ إليك من بلدٍ بعيد ، ولي في خدمتك عشرُ سنين ، حَصَّلْتُ عنك فيها من العلوم جملةً لا أحصيها ، فلعلَّ من جميل إحسانكم أن تمنوا عَلَيَّ بمعرفة هذا الاسم » ... فبكى الشيخ ، وقال لي : « يا ولدي! ... والله أنت لَتَعُزُّ عليَّ كثيرًا من أجل خدمتك لي ، وانقطاعك إليَّ ، في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة ، لكني أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك ؛

فتقتلك عامة النصارى في الحين » ، فقلت له : « يا سيدي ! والله العظيم ، وحقِّ الإنجيل ومَن جاء به لا أتكلم بشيء مما تُسِرُّهُ إليَّ إلَّا عن أمرك » ، فقال لي : « يا ولدي إني سألتك في أول قدومك عَلَيَّ عن بلدك ، وهل هو قريب من المسلمين ؟ وهل يغزونكم أو تغزونهم لأختبر ما عندك من المنافرة للإسلام ، فاعلم يا ولدي أن « البارقليط » هو اسم من أسماء نبيهم محمد [1] ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وعليه نزل الكتاب

(١) من الواضح أن هذا القسيس كان يصدِّق برسالة النبي ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ؛ إذ إنه يعرف أوصافه الموجودة في التوراة والإنجيل ، وقد تحدث العلماء المسلمون عن معرفة علماء أهل الكتاب للنبي محمد ـ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ـ ، وقد نقل الإمام الجويني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ما تناولته الآية الكريمة من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس : ٩٤] وما يتعلق بها من معانٍ ، وأشار إلى قول صاحب « الكشاف » : « والمعنى أن الله ـ تعالى ـ قدم ذكر بني إسرائيل ، وهم قراء الكتاب ، ووصفهم بأن العلم قد جاءهم ؛ لأن أمر رسول الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل ،
=

الرابع المذكور على لسان دانيال [١] ـ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه ، وأن دينه هو دين الحق ، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل » ، قلت له : « يا سيدي ! وما تقول في دين هؤلاء النصارى ؟ » ، فقال لي : « يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول ؛ لكانوا على دين الله ؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء دينُهم دين الله ، ولكن بَدَّلوا وكفروا » .

= وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ... » وخلص أن قال : « فالغرض : وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله » انظر « شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل » للإمام عبد الملك بن عبد الله الجويني ، و« الدر المنثور » للسيوطي (١/ ١٤٧) .

(١) نقل الشيخ رحمة الله الهندي (في البشارة الحادية عشر) في الباب الثاني من كتاب دانيال حال الرؤيا التي رآها « بختنصر » ملك بابل ونسي ، وهي رؤيا طويلة . انظر : دانيال (٢: ١-٤٦) ، وخلص إلى أن تلك الأوصاف تنطبق على الرسول ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ـ انظر « إظهار الحق » لرحمة الله الهندي ، ترجمة عمر الدسوقي (٢/ ٢٦٧) ، و« محمد ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ـ في الكتاب المقدس » للبروفيسور عبد الأحد داود ص(٨٦-٩٤) ، ص(١٣٣-١٤٤) .

فقلت له : « يا سيدي ! وكيف الخلاص من هذا الأمر ؟ » ، فقال : « يا ولدي بالدخول في دين الإسلام » ، قلت له : « وهل ينجو الداخل فيه ؟ » ، قال لي : « نعم ينجو في الدنيا والآخرة » ، فقلت : « يا سيدي إن العاقل لا يختار لنفسه إلَّا أفضل ما يعلم ، فإذا علمتَ فضلَ دينِ الإسلام فما يمنعك منه ؟ » ، فقال لي : « يا ولدي ! إن الله ـ تعالى ـ لم يُطْلِعْني على حقيقة ما أخبرتُك به من فضل الإسلام ، وشَرَفِ نبي أهل الإسلام إلَّا بعد كبر سني ، ووهن جسمي ، ولا عذر لنا فيه ، بل هو حجة الله علينا قائمة ، ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك ؛ لتركتُ كلَّ شيء ، ودخلتُ في دين الحق ، وحبُّ الدنيا رأسُ كُلِّ خطيئة ، وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى

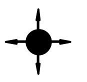
مـن رفعة الجاه والعـز والترف ، وكثرة عَرَضِ الدنيا ، ولو أني ظهر عَـلَيَّ شيء مـن الميـل إلى ديـن الإسـلام ؛ لقتلتني العامة في أسرع وقت ، وَهَبْ أني نجوتُ مـنهم ، وخَلُصْتُ إلى المسلمين ، فأقـول لهم : إني جئتكم مسلمًـا ، فيقولون لي : قـد نفعتَ نفـسَك بنفـسِك بالـدخول في ديـن الحـق ، فـلا تَمُـنَّ علينـا بدخـولك في ديـنٍ خلَّصْتَ بـه نفسك مـن عـذاب الله ، فـأبقى بيـنهم شيخًـا كبـيرًا فقـيرًا ابــن تـسعين سنــة ، لا أفقــه لسانـهم ، ولا يعرفـون حقـي ؛ فأمـوت بينهم جـوعًــا [١] ،

(١) هذا خيال فاسد ، وسوء ظن بخـير أمـة أخرجـت للنـاس ، وجهـل بـسماحة الإسلام ونظامه الاجتماعي الرائع المبني على التكافـل والرحمـة والإحـسان إلى الخلق ، وحفظ حقوقهم ، ورعاية قدرهم ، هذا إذا كـانوا بـاقين عـلى ديـنهم ، فكيف بمن انضم إليهم مسلمًـا لله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ شاهـدًا شهـادة الحـق ؟! وتأمـل مـا حكـاه أبـو عبيـد عن عمـر بن عبـد العزيـز ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهـو يكتـب إلى عدي بن أرطأة بالبصرة قائلًا له :
« ... وانظر مَـن قِبَلَكَ من أهل الذمة قد كبر سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنـه =

وأنـا ـ والحمد لله ـ على ديـن عيسى ، وعـلى مـا جـاء بـه ، يعلـم الله ذلك منـي [١] » ، فقلـت لـه : « يـا سـيدي ! أفتـدلني أن أمـشيَ إلى بـلاد المـسلمين ، وأدخــلَ في دينهم ؟ » ، فقال لي : « إن كنت عاقلًا طالبًـا للنجـاة ؛ فبـادر إلى ذلك ؛ تحصل لك الدنيا والآخـرة ، ولكـن يــا ولــدي ! هـذا أمــر لم يحضره أحـد معنـا الآن ،

= المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه ، فلو أن رجـلًا مـن المسلمين كان له مملوك كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وولَّت عنه المكاسب ، كـان من الحق عليه أن يقوته ، حتى يفرق بينهما موت أو عتق ، وذلك أنـه بلغنـي أن أمير المؤمنين عمر مَرَّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس ، فقال : (ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك ، ثم ضيعناك في كبرك) ، قال : ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه » اهـ مـن كتـاب « الأمـوال » للإمـام أبي عبيد القاسم بن سلام ، وأقوى رَدٍّ على هذا الخيـال الفاسـد هـو مـا حظـي بـه تلميذه الترجمان لما آوى إلى المسلمين من الاحترام ، والتقدير ، والتكريم .

(١) لكن شريعة عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ نُسخت ببعثة أخيه محمـد ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، وعيسى بَشَّر ببعثته الشريفة ، فمِـن اتبـاع المسيح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ : الإيمـانُ بمحمد ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إذا بُعـث ، والانقياد لشريعته ، فمن كفـر بمحمد رسول الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ؛ فقد كفر بجميع الأنبياء ، ومنهم عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ .



فاكتمه بغاية جهدك ، وإن ظهر عليك شي منه ؛ قتلتك العامة لحينك ، ولا أقدر على نفعك ، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني ، فإني أجحده ، وقولي مُصَدَّقٌ عليك ، وقولُك غير مُصَدَّقٍ عَلَيَّ ، وأنا بريء من ذلك - إن فُهْتَ بشيء من هذا - » ، فقلت : « يا سيدي ! أعوذ بالله من سريان الوهم لهذا » ، وعاهدتُه بما يرضيه .

ثم أخذت في أسباب الرحلة وودَّعتُه ، فدعا لي عند الوداع بخير ، وزودني بخمسين دينارٍ ذهبًا ، وركبتُ البحر منصرفًا إلى بلدي مدينة « ميورقة » ، فأقمتُ بها مع والدي ستة أشهر ، ثم سافرتُ منها إلى جزيرة صقلية ، وأقمتُ بها خمسة أشهر ، وأنا أنتظر مركبًا يتوجه لأرض المسلمين .

فحضر مركب يسافر إلى مدينة « تونس » ، فسافرت فيه من « صقلية » ، وأقلعنا عنها قرب مغيب الشفق ، فوردنا مرسى « تونس » قرب الزوال .

فلما نزلت بديوان « تونس » ، وسمع بي الذين بها من أحبار النصارى ؛ أتوا بمركب ، وحملوني معهم إلى ديارهم ، وصَحِبَتْهُم بعضُ التجار الساكنين - أيضًا - بتونس ، فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر ، وبعد ذلك سألتهم : « هل بدار السلطان أحد يحفظ لسان النصارى ؟ » وكان السلطان آنذاك مولانا أبا العباس أحمد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ، فذكر لي النصارى أن بدار السلطان المذكور رجلًا فاضلًا من أكبر خُدَّامه اسمه

« يوسف الطبيب » ، وكان طبيبه ، ومن خواصه ، ففرحت بذلك فرحًا شديدًا .. وسألت عن مسكن هذا الرجل الطبيب ؛ فدُلِلْتُ عليه ، واجتمعتُ به ، وذكرت له شرح حالي ، وسبب قدومي للدخول في الإسلام ، فَسُرَّ الرجل بذلك سرورًا عظيمًا بأن يكون تمام هذا الخير على يديه ، ثم ركب فرسه ، وحملني معه لدار السلطان ، ودخل عليه فأخبره بحديثي ، واستأذنه لي ؛ فأذن لي .

فمثلت بين يديه ، فأول ما سألني السلطان عن عمري ، فقلت له : « خمسة وثلاثون عامًا » ، ثم سألني عما قرأت من العلوم ، فأخبرته ، فقال لي : « قدمتَ قدومَ خير ، فَأَسْلِمْ على بركة الله » ، فقلت للترجمان ـ وهو الطبيب المذكور ـ :

« قل لمولانا السلطان : إنه لا يخرج أحد من دينٍ إلَّا ويُكْثِرُ أهلُه القولَ فيه ، والطعنَ فيه ، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم ، وتسألوهم عني ، وتسمعوا ما يقولون في جنابي ، وحينئذٍ أُسْلِمُ إن شاء الله ـ تعالى ـ » ، فقال لي بواسطة الترجمان : « أنت طلبتَ ما طلب عبدُ الله بنُ سلام من النبي ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حين أسلم » (١) .

(١) تشابهت قصة إسلام « الترجمان » بقصة إسلام الصحابي الجليل عبد الله ابن سلام ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ ، وهو من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب نبي الله ـ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ـ ، وقد روى أنس بن مالك ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال : أقبل نبي الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إلى المدينة ، فقالوا : جاء نبي الله ، فاستشرفوا ينظرون ، إذ سمع به عبد الله بن سلام ، وهو في نخل لأهله يخترف لهم منه ، فعجل أن يضع التي يخترف لهم فيها ، فجاء وهي معه ، فسمع من نبي الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، ثم رجع إلى أهله ، قال : فلما خلى نبي الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ جاء عبد الله بن سلام ،
=

ثم أرسل إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم ، وأدخلني في بيت قريب من مجلسه ، فلما دخل النصارى عليه ؛ قال لهم : « ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب ؟ » ،

= فقال : « أشهد أنك رسول الله حقًّا ، وأنك جئت بحق ، ولقد علمت اليهود أني سيدهم ، وأعلمهم ، وابن أعلمهم ، فادعهم ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت ؛ قالوا فيَّ ما ليس فيَّ » .

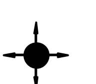
فأرسل نبي الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إليهم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم نبي الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : « **يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ! وَيْلَكُمْ ، اتَّقُوا اللهَ ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ حَقًّا ، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ : أَسْلِمُوا** » ، قالوا : « ما نعلمه » ، فأعادها عليهم ثلاثًا ، وهم يجيبونه كذلك . قال : « **فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ ؟** » قالوا : « ذاك سيدنا ، وابن سيدنا ، وأعلمنا ، وابن أعلمنا » ، قال : « **أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟** » ، قالوا : « حاشا لله ! ما كان ليسلم » ، فقال : « **يَا بْنَ سَلَامٍ ، اخْرُجْ عَلَيْهِمْ** » ، فخرج إليهم ، فقال : « يا معشر اليهود ! ويلكم ، اتقوا الله ، والله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقًّا ، وأنه جاء بالحق » فقالوا : « كذبت » ، فأخرجهم النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ) اهـ من « عيون الأثر » لابن سيد الناس (١/ ٢٥٠) ، وانظر : « فتح الباري » (٧/ ٢٧٢) .

قالوا له : « يا مولانا هذا عالم كبير في ديننا ، وقالت شيوخنا : إنهم ما رأَوْا أعلى من درجته في العلم والدين في ديننا » ، فقال لهم : « وما تقولون فيه إذا أسلم ؟ » ، قالوا : « نعوذ بالله من ذلك ، هو ما يفعل هذا أبدًا » ، فلما سمع ما عند النصارى بعث إليَّ ؛ فحضرتُ بين يديه ، وشَهِدْتُ شهادَتَيْ الحق بمحضر النصارى ؛ فَصَلَّبوا [١] على وجوههم ، وقالوا : « ما حمله على هذا إلا حُبُّ التزويج ، فإن القسيس عندنا لا يتزوج » [٢] ، وخرجوا مكروبين محزونين .

---

(١) صَلَّبوا : وهذا أمر ثابت عند النصارى ؛ لأنهم إذا أرادوا التعوذُ من شيء رفعوا أصابعه مضمومة على جبهتهم ، ثم أشاروا بعلامة الصليب مرورًا بالكتف الأيمن فالأيسر فالوسط ، وقد تتعدى هذه الإشارة من التعوذ إلى البركة ، حيث إن البابا يرسم هذه الإشارة حينما يظهر لعامة الناس .

(٢) (حرَّمت الكنيسة الكاثوليكية على القسس والرهبان والراهبات الزواج ؛ فأدى ذلك التحريم إلى انتشار الفسق والفجور بين رجالها ونسائها ، =



فرتَّب لي السلطان ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ربع دينار كل يوم في دار المختص ، وزوَّجني ابنةَ الحاج محمد الصفَّار .

فلما عزمت على البناء بها ؛ أعطاني مائة دينار ذهبًا ، وكسوة جيدة كاملة ، فبنيت بها ، ووُلِد لي منها ولدٌ سميته « محمدًا » على وجه التبرك باسم نبينا ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ...] اهـ .

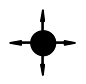
❊ ❊ ❊

= حتى لقد كان القسس والرهبان يتصلون بالراهبات أنفسهن ، ويبررون ذلك بأنه ضرب من المساكنة الروحية « الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام » د . علي عبد الواحد وافي ، ص(١٢٢) .

ولهذا السبب قام مارتن لوثر البروتستانتي في القرن السادس عشر بثورة على الكنيسة ، وكان من ضمن آرائه في الإصلاح : (أن جزءًا من فساد الدين يرجع إلى عدم الزواج ، ورأى أن المنع منه لم يكن في المسيحية في عصورها الأولى ، فقرر حقهم في الزواج ، وتزوج هو فعلًا مع أنه من رجال الدين ، وكان زواجه من راهبة) « محاضرات في النصرانية » لأبي زهرة ، ص(٢١٦) .

ثم شرع الشيخ عبد الله الترجمان في ذكر طرف من أخبار الدولة الحفصية التي خدم في ديوانها ، ثم أردفه بأبواب تسعة كشف فيها هوية كُتَّاب الأناجيل الأربعة « متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا » ، وأكَّد أنهم ليسوا من حواريي المسيح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ بأدلة علمية دقيقة ، ثم ناقش قضايا التعميد « التغطيس » ، والتثليث ، والأقانيم ، والخطيئة الأولى ، والعشاء الرباني ، وصك الغفران ، وقانون الإيمان ، وفَنَّدَها كلَّها بنصوص الأناجيل ، وبأدلة العقل الصريح .

ثم أثبت بشرية المسيح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ ونفي ألوهيته المزعومة ، ثم عرض التناقضات في نصوص الأناجيل المحرفة ،



ثم تعرض لما يعيبه النصارى على المسلمين ؛ كزواج العلماء والصالحين ، والختان ، والنعيم الحسي في الجنة ، ثم ختم كتابه بإثبات نبوة رسول الله محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، وبيان فضله ومنزلته بنصوص من التوراة والإنجيل (١) .

وبعد : فهذا طرف من سيرة الشيخ الميورقي وجهاده بقلمه ولسانه في سبيل الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ أما جهاده بيده فقد اشترك ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في جهاد بني جلدته من الكافرين ، وفي حملة الأسطول الحفصي على جزيرة صقلية (سنة ٧٩٦ هـ تقريبًا) كان يتولى منصب القائد البحري .

(١) وقد طبع الكتابَ « دارُ البشائر الإسلامية » بيروت ـ لبنان ـ ص . ب : (١٤-٥٩٥٥) بتحقيق وتعليق الأستاذ عمر وفيق الداعوق ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

فإن صَحَّتْ روايةُ استشهطِ الترجمان أثناء الغارة الصليبية على تونس ، فهذا شرف عظيم يضاف إلى سجله الناصع في خدمة دين الحق والجهاد في سبيله .

إن سيرة الشيخ الترجمان منار ينير الدرب للتائهين في لجج الظلام ، ودياجير الجهل ، ويحرر عقولهم من أسر التقليد الأعمى لمن لا يملكون لهم رزقًا ولا أجلًا ، ويهدي الحائرين الباحثين عن الحقيقة التي هي أقرب لأحدهم من حبل الوريد ، إنها حجة على الجاحدين المعاندين الذين غلّقوا أعينهم ، وجعلوا أصابعهم عليها ؛ ليقنعوا أنفسهم أن الشمس غائبة ، وأن الدنيا ظلام .. ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

رحم الله الشيخ الترجُمان ، وأعلى درجته في المهديين ، وأسكنه الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحَسُن أولئك رفيقًا ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

صدر حديثًا . .

اقتضاءُ الفطرةِ الإسلامَ

إعـداد

محمد بن أحمد إسماعيل المقدم

ـ عفا الله عنه ـ





صدر حديثًا . .

نظرة في تاريخ العقيدة

إعـداد

محمد بن أحمد إسماعيل المقدم

ـ عفا الله عنه ـ

